أثر سورة الحجرات في حماية نسيج المجتمع الإسلامي

الدكتور: رسول طه خلف

ديوان الوقف السني العراقي

طالبة الدكتوراه: ميسون حيدر طه

كلية الآداب/ الجامعة العراقية

The effect of Surat Al-Hujurat on protecting the fabric of Islamic society

Dr. Rasul Taha Khalaf

Iraqi Sunni Endowment Bureau

Ph.D. student: Maysoon Hayder Taha

College of Arts\ Iraqi University

الملخص:

الحمد لله الذي تفضَّل على عباده بما منحهم من فضل البيان الذي ذلّل به الألسن وسهّل به المستصعب، فيه إيّاه يوحِّدون وإيّاه به يسبِّحون ويقدِّسون وإلى حاجاتهم به يتوصَّلون وبه بينهم يتحاورون فيتعارفون ويتعاملون.

وأشهد أن لا إله إلا الله عرفهم في تنزيله ومحكم آي كتابه فضّل ما حباهم به من البيان على مَن فضلهم به عليه من ذي العيّ والمستعجم اللسان قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾[1].

وأشهد أن محمدًا (ص) قد أرسله –جلّ وعلا– للبيان فقال:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[2]، وقال أيضا:﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[3]، وبعد...

فهذهِ دراسةٌ في سورة الحُجرات، التي نزلت في السَّنة التَّاسعةِ للهجرة، فهي سورةٌ مدنيةٌ تُمثل في آياتها الثمانيةَ عشرةَ مجموعةً من القواعدِ والآدابِ والقوانين التي جعلها –جلَّ وعلا– علامةً مُميَّزةً لهذا المجتمع الذي تربَّى على يَدَي الرسولِ ρ. كان الخطابُ أو النِّداءُ فيها بهذا الأسلوب المحبَّبِ إلى النّفوسِ المؤمنةِ، التي أقرَّ أصحابها بوحدانيةِ اللهِ –جلَّ وعلا– وتفرُّدِهِ في الخلق، وأقرُّوا بنبوة محمَّد (ص) وكان النِّداء فيها للجميع، للسَّابقين منهم، المهاجرين والأنصار، وللوافدين الذين لا يزال إسلامهم في مدارجه الأولى... هذه الآدابُ، أو الأخلاقُ التي قدَّمتْها هذه السُّورةُ متنوعةٌ، ومتعدِّدةٌ، منها:

1. أدبٌ، أو آدابٌ مع الله –جلَّ وعلا–، ورسوله (ص)، الذي لا ينطقُ عن الهوى. أدبٌ مع الله –جلَّ وعلا– يستلزمُ مراعاةَ أوامرِهِ، وتوجيهاتِهِ وتشريعاتِهِ في كلِّ حال. وأدبٌ مع الرسول (ص)، ينسجمُ مع الأخلاقِ العربيةِ التي لا تعجلُ بأمرٍ ولا نهيٍ دون الأَبِ، أو رئيسَ الأُسرةِ والعشيرةِ والقبيلةِ، والإمامُ القائدُ القدوةُ... وليس لكلِّ فردٍ الحقُّ في التَّقديم عليه بالرأيِّ والمشورةِ، أو المخالفةِ، وذلك ما نهى عنه –جلَّ وعلا– في مطلع السورة.

لقد أمر –جلَّ وعلا– المؤمنين بخفض أصواتهم في حضرةِ الرسولِ (ص) فوضعوا الأمر موضع التطبيق فورًا، حتى كان حديثُهُم بينهم همسًا...

2. وانتقل هذا الأدبُ مع الله –جلَّ وعلا–، ومع رسوله (ص) إلى الدُّعاةِ والعلماءِ والفقهاءِ، بل وأصبح قانونًا، بعد وفاة الرسول (ص)، فليس للمؤمنين أنْ يرفعوا أصواتهم في مسجدِ النبي (ص)، ولا في المساجد الأخرى تأسيًّا بسلف الأُمَّة.

3. في السورة آدابٌ: أدبٌ مع النَّفسِ، والأُسرةِ، والمجتمعِ، وأدبٌ مع الأصدقاء، وآدابٌ مع الأعداء، ومع الناسِ جميعًا في حالاتِ السِّلمِ والحربِ، والعاداتِ والمعاملاتِ، وفي العباداتِ... وقد التزم بها هذا المجتمع الربَّاني حتى أصبحوا كالجسد الواحد، وهم إخوةٌ ، يجمعهم الإيمان، وتُوحِّدهم طاعةُ الله ورسوله، وتُهذِّبُهم الحكمةُ التي أصبحت ضالَّةَ المؤمن.

ولتمام الفائدة أوجزتُ في مقدَّمة هذه الدراسة أسبابَ النزولِ، وذكرتُ المناسبةَ بين السورةِ وما تقدَّمها من سورةِ الفتحِ، وتركتُ البابَ مفتوحًا لِمَن أراد الإضافةِ إليها؛ لأنّها تُعدُّ دستورًا، أو ورقةَ عملٍ وأُنموذجًا متقدِّمًا في الآدابِ الرَّفيعةِ والأخلاقِ الطيبةِ التي رَضيَها –جلَّ وعلا– لهذه الأمَّةِ الرائدةِ التي تَعهَّد لها –جلَّ وعلا– بالنَّصرِ والتَّمكين، ما أنْ تمسكَّت بكتابها وسُنن رسولها (ص)، وأنا على يقينٍ بأنّ الله –جلَّ وعلا–، لن يتخلى عنها وإنْ ضَعُفَت أو مَرُضَت، فأنّها إلى العَودِ أقرب والعَودُ أحمدَ، ﴿ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾[4]. والله الموفق، والحمد لله رب العالمين، وصلَّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرً

Abstract

Praise be to God, who gave the Prophet of the qur'an and the like with him, and may God's prayers be upon the one who comes from the speech, his mosques, his family and companions, andwhoever follows him.

This is study in the Hujraat Surah, migration in the ninth year immigration, It is a civic Surah that represents it ayat Eighteen sets of rules, ethics and laws this is a special sign of this society that is being reconstructed by the Massenger.

The letter or call in this manner is a reason for the secured souls. That the people who recognized the unity of Allah and singed him in creation and approved the prophet Muhammed.

This call is to all, Al-Muhajirin wal'ansar. These who still have their Islam in its First stages… These ethics or Morality provided by Surah Al-Hujraat.

1. Moral or Morals with Allah and his Massenger. Moral with Allah, need to take his orders, his legislation guides in any case. Moral with Massenger, that would tally with Arabs moral which never rush with his order with the father or head of the Family or the clan and the tribe, a good leader. Everyone has no right to apply to give him opinion and advice or contrary, therefore that Allah rejected in the early of Surah.

Allah ordered the believers to turn down the gibbons when they sitting with the Massenger, and they immediately practiced it, until they speak whispering.

2. Then the Moral change with Allah and the Massenger to preachers, scientist and scholars, and this become a law, after Massenger death, believers never aloud their voice loudly in the prophat Mosque and in other Mosque.

3. In this Surah many morals: Moral with the self, family, society, with a friends, Moral with enemy and with all people in war and peace situations and tradition and also with worship… The society commit to these morals even the become like one flesh, brothers brings them faith, and unite them obedience to the Allah and Massenger.

To make the benefit complete I outline in the introduction about the study of the reasons of accede, and the event mentioned between Surah and the beginning of Al-surah, and leaving the door open to everyone who want, to add; because it's constitution, or work sheet in high ethic and nice manners that Allah agree about it for this Nation and pledge with victory even they follow the Quran and Massenger. I belive Allah will never giving up about her in weekness or got sick.

المقدمة

سورة الحجرات: سورة مدنية، نزلت في السنة التاسعة من الهجرة، آياتها ثمانية عشر آية، تضمُّ مناهج ربّانيّة في التّنظيم، والتّهذيب والتّربية، ومبادئ للإرشاد والتوجيه والتشريع، تهدف لإقامة مجتمعٌ ربّاني، عالميّ رفيعٍ، كريمٍ نظيفٍ سليمٍ، وتكفل هذه السورة، عالَمَها هذا مُعلِنةً أنّه أنّما يصدُرُ عن الله –تعالى–، ويتّجه إليه، وهو مؤهّلٌ للنسبة إلى الله –جلّ في علاه–، فهو عالَمٌ نقيُّ القلبِ، نظيفُ المشاعِرِ، عفُّ اللسانِ، طيّبُ السريرةِ، له أدبٌ مع الله ورسوله، وأدبٌ مع نفسه وغيره، وأدبٌ مع الرُّعاة، وأدبٌ مع العلماء...

هو عالَمٌ مُحاطٌ بشرائع تُنظِّم أوضاعه، وأُخرى تكفلُ حِفظَه وصيانتَه، يلتقي فيه الأفرادُ بالدولةِ، والدولةُ بالأفراد، وتتلاقى واجباتهما ونشاطاتهما في تعاونٍ واتِّساقٍ... ففي عالَم الأدبِ مع الله –جلَّ وعلا– ومع رسوله (ص)، فيمكن إيجازه: بمعرفة العبدِ حدَّهُ، والوقوف عنده.

فليس للعبد في هذا المجتمع أن يسبق الخالق، البارئ، المُشرّع، في أمرٍ ولا نهيٍ، وليس له أن يقترح عليه ابتداءٍ، في قضاءٍ أو حكمٍ، وليس له أن يتجاوز ما أمَرَ به –جلّ وعلا– أو نهى عنه، بل ليس له أن يجعل لنفسه إرادةً أو رأيًا مع خالقِهِ –جلّ وعلا–، تقوًى منه، وخشيةً وحياءً وأدبًا.

وله أدبٌ خاصٌّ في خطاب النبي (ص)، وتوقيرِهِ، واحترامِهِ، وطاعتِهِ. وينتقل هذا الأدب وذلك التّعامل، مع العلماء بعد عصر النبيّ (ص)، لأنهم ورثة الأنبياء، ومع الدُّعاة لأنهم حَمَلةُ هذا الدِّين، والمكلّفون بإيصاله إلى النّاس كافّة.

وتُقدِّمُ السورةُ منهجًا ربانيًّا صالحًا لكل زمانٍ ومكانٍ، ولكل النّاس شعوبًا وقبائل وأُسَرًا وأفرادًا، فالكل ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[5] وكلهم قد جُعِلوا ﴿ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾[6]، والقاعدة التي عُدَّت محورًا لهذا المنهج ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[7].

ومن أُولى مواد هذا المنهج: التبيُّن، أو التثبُّت من صحّة الأقوال، وحقيقة الأفعال، والوثوق بمصدرها، قبل الحكم عليها، والتوقُّف المطلوب في هذه المسألة إنما هو عند أمر النبي (ص)، الذي لا ينطق عن الهوى...

وأساسُ هذا التشريع وميدان هذا المنهج، العدل، والمساواة، والإصلاح... وجميعها ضمن دائرة التقوى، التي عدَّها الإمام علي بن أبي طالب (ع): " التّقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرِّضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرَّحيل".[8]

ومن أسرار صناعة الحياةِ، العملُ على إيجادِ عالَمٍ نظيفِ المشاعرِ، مكفولُ الحرماتِ، مَصونٌ في غيبته وحضورِه، فلا يؤخذُ الناسُ بالظنِّ، ولا تُتَّبَعُ العَوراتُ، وأمنُ الناسِ وحرماتُهم وكرامتُهم وحرّيتُهم في ذِمَّةِ الله –تعالى– ورعايتِه، دون مساسٍ، من قريبٍ أو بعيدٍ.

وهو عالَمٌ بعد ذلك له ميزانٌ واحدٌ يُقَوَّمُ به الجميع، هذا الميزانُ مُبَرَّأٌ من شوائبِ الهوى والاضطراب، عنوانه قوله تعالى:﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[9].

هذه الصورةُ لذلك المجتمع الربانيُّ، ليست خيالية، ولا أفلاطونية، مكانها الورق أو المحاضرات، بل هي حقيقةٌ واقعيةٌ، تمّت في عهد النبي (ص)، وبرعايةٍ قرآنيةٍ ربّانيةٍ، وقد نَمَت بأناةٍ وتدرُّج، نُمُوًّا طبيعيًّا كما تنمو الشجرة الطيّبة إذا سُقِيَت بماء المكرُماتِ، وأخذت الزمن اللّازم لنمُوّها، وأُحيطت بجهودٍ موصولةٍ متواصلةٍ ثابتةٍ، تحت رعاية عينٌ لا تأخذها سِنةٌ ولا نومٌ.

أمّا الصبرَ والجهدَ البصيرَ فكان دوره متميّزًا في التهذيبِ والتشذيبِ والتوجيهِ ثم الدَّفعِ، والتّقويةِ والتّثبيتِ والتبيُّن في إطار مُعاناةٍ وابتلاءاتٍ شاقَّةٍ ومُضنيةٍ مع نفسٍ أبيَّةٍ وروحٍ غير متردّدةٍ في اجتياز تلك المفاوزِ، وتحويلِ ما يعترضها من مِحنٍ إلى مِنَحٍ.

كان الخطاب في هذه السورة الرّائدة موجَّهًا إلى (الذين آمنوا)، وهو نداءٌ محبَّبٌ إلى النّفوس المؤمنة، يستجيشُ قلوبَها بالصَّفةِ التي تربطُهم به –جلّ وعلا–، وتُشعِرُهم بأنهم لهُ، وأنهم يحملون شارته، والله –جلّ وعلا– يعلم أنّهم الجيل الذي اختاره، فحبَّب إليهِمُ الإيمان وزيَّنه في قلوبهم، فالأَولى لهم أن ينصتوا، ويسمعوا، ويخشعوا، فيقِفوا حيث أراد لهم أن يكونوا، والأمر بعد ذلك وقبله لله –تعالى–، فلا خيرةَ لهم، ولا تقديمَ، ولا اقتراحَ، إنّما هي الطّاعةُ، والصبر على الطّاعة... وحسب.

إنّ الكرامة في الإسلام للعمل والتّقوى، والقاعدة الذهبية:﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴾[10]. وتحت ركب هذا المعنى سار المسلمون، وهم آحاد، وجماعة صغيرة وهم ملايينٌ من الناس، يترنَّمون بنشيدها العذب:

من مشرق الدنيا لأقصى المغرب*** رُوحٌ تَحِنُّ إلى تعاليمِ النّبيّ

في طريقٍ آمنةٍ، لتحقيق هدفٍ نبيلٍ، ميدانه التنافس، وتُحيط جوانبُه التّقوى والاستقامة والكرامة، وفيها، لا في غيرها التّفاخر، والتّعاظم، لا بالأنساب ولا بالألقاب.

في هذه الدراسة محاورٌ محدودةٌ، سمّيت عند كثير من الباحثين آدابًا، وعدَّها آخرون قواعد، أو قوانين، بل أسس، والكل ممكن، أمّا العسير فيها فهو وضعها موضع التطبيق العملي، لخلقِ أو صناعةِ أمَّةٍ وقيادتها نحو بَرّ الأمان.

هذه الأمَّة قد جعلها –جلّ وعلا– في موضع التّمكين، وجعل منهجَها بلغتها، فطال عليها الأمد، ثم ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ﴾[11]، فسلَّط عليهم عدوًّا لا يألوهم خَبالًا، وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم وصدَّهم عن السبيل... فهل من عَودة ؟! ذلك ما لا بد لنا من معرفته، والعمل بقوَّةٍ على وضع المعادلة التي اختارها لنا –جلَّ وعلا– لاختصار الزمن، والاقتصاد في الجهد، وتحقيق الطّموح بأدنى الخسائر.

أمّا ميدانها ففي قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾[12]، شرطٌ، وجزاءٌ؛ مقدمة ونتيجة، والله يفعل ما يريد!! وبعد...

تضمُّ هذه الدراسة المباحث الآتية بعد تمهيدٍ ضمّن أسباب النّزول، والمناسبة التي جعلت السّورة في هذا المكان اللّائق بها.

أمّا في المطلب الأول: فتحدثتُ في إطار السورة على الأدب مع الله –جلّ وعلا– ومع رسوله (ص).

وخصّصتُ المطلب الثاني: للحديث عن منهج الدّعاة ودورهم في الدّعوة إلى الله –تعالى–، في حدودِ ما جاء في السورة.

وجاء المطلب الثالث: في أدب التعامل مع العلماء، علماء وفقهاء هذه الأمَّة ودورهم في صناعة المجتمع الربّانيّ الذي أراده –جلّ وعلا– ميدانًا لخلافته في الأرض كما يُحبُّ ويرضى.

أمّا في الخاتمة: فقد أوضحتُ بإيجاز أرجو أن لا يكون مُخِلًّا أهم ما تمخّضت عنه هذه الدراسة...

والله أسأل أن تكون هذه الدراسة خالصة لوجهه –تعالى– ومنه التوفيق ﴿وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾[13].

وصلَّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أولا–أسباب النزول:

ورد في سبب نزولها أقوال جاءت في مرويات أوردها السّيوطي وغيره، ونظرًا لكثرتها وتعدُّد المصادر والمرويات فيها، سأُوجزها بالآتي:

إنّ الناس قبل نزول قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ ﴾[14] لم يكونوا يعرفوا أدب الخطاب، ولا طريقة الدّعاء، فقد جاء قومٌ إلى النبيّ (ص)، فسألوه: أقريبٌ ربّنا فنناجيه أم بعيدٌ فنناديه؟ فأنزل الله –تعالى– قوله:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾[15]. وقد بدأت سورة الحجرات بإيضاح ما يجب لله –تعالى– ورسوله من الأدب ومكارم الأخلاق، ووضعت للأمّة آدابًا للحديث وأخرى لكيفية الدخول والخروج، وطرق وتقاليد اللقاء، وكيفية الكلام، متوخّية في ذلك ما يُهذِّب النّفس ويرهف الحسّ ويرقّق المشاعر، ويرتقي بالنّاس إلى أعلى مراتب الأدب وأسمى غايات الكمال.

الخطاب في السورة كان معظمه للمؤمنين الذين أقرُّوا بوحدانية الله –تعالى– واعترفوا بنبوّة محمّد (ص)، ولذلك اقترنت أسباب النزول بأحداثٍ بارزةٍ مشهورةٍ، فتداولوها منها:

1. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ ﴾، وقد أورد المفسّرون مرويات تحدّث بعضها عن مشادّة بين أبي بكرٍ وعمرٍ –رضي الله عنهما– في تأمير القعقاع بن مَعبد أو الأقرع بن حابس على ركبٍ من بني تميم وفَدَ على النبي (ص) في السّنة التّاسعة للهجرة.[16]

وذكرت مرويات أخرى: أنّ أُناسًا ذبحوا قبل النّبي (ص) يوم النّحر، وآخرون يتقدمون شهر رمضان بصيام، وفريق ثالث: كان يقترح إنزال قرآن في مسائل معيّنة، وقيل: إنّها نزلت في عَمرو بن أُميَّة الضمري، وكان قد قتل رجلَين من بني سُلَيم قبل أن يستأذن الرسول (ص). والراجح أنّها نزلت في أبي بكرٍ وعمر –رضي الله عنهما–.

2. وفي قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ ﴾[17]، قال عدد من المفسرين: إنّها نزلت في أبي بكرٍ وعمر –رضي الله عنهما–[18]، واستدلّوا بما رواه البخاري من أنّ الذي نزل من الآية (1– 5) من سورة الحجرات.[19]

3. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾[20] روي عن ابن عباس –رضي الله عنهما–: أنّها نزلت في أبي بكر ([21]).(τ

4. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ ﴾[22]، وفيها أقوال؛ منها: إنّها نزلت في وفد بني تميم، حيث كَثُر اللغط وارتفعت الأصوات عند النبي (ص). وقيل: إنّها نزلت في جفاتهم،[23] وهناك إشارة إلى أنّها نزلت في غيرهم من جفاة القبائل الذين وفدوا على النبي (ص) عام الفتح 9هـ.[24] والقول الأول هو الراجح.

5. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ ﴾[25] هناك إجماعٌ على نزولها في الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط، الذي لم يوفق في تفسير ما رآه مِمّا تلقّوه به تعظيمًا لأمر الرسول (ص)، فخاف، ورجع من الطريق، يظنُّ أنّهم يريدون قتله، وزعم أنّ بني المصطلق قد منعوه الزكاة وأرادوا قتله، ودرءًا للفتنة، حسم القرآن الكريم الموقف، فَوَأَد الفتنة.[26]

6. ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ ﴾[27]، ورد في سبب نزولها قولان:

الأول: في مشادّة كلامية بين رجل من الأنصار، وعبد الله بن أُبَيّ، رأس النِّفاق، غضب لكل واحدٍ منهما أصحابه، فكان بينهما ضربٌ بالجريد والأَيدي وغيرهما، فنزلت هذه الآية.[28]

الثاني: في رجلَين من الأنصار، لم يذكروا الرواة اسميهما، كانت بينهما مُماراةً في حقوقٍ ماديّةٍ، لم تلبث أن تحوّلت إلى خصومةٍ انتصر أصحاب كل منهما لصاحبه حتى كان بينهما ضربٌ ونحوه.[29] وقد رجّح علماء التفسير القول الأول.[30]

7. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾[31]، ورد في سبب نزولها قولان:

الأول: أنّها نزلت في ثابت بن قيس بن شمّاس، وقد ذكر أحد الصحابة باسم أمٍّ له كان يُعيَّرُ بها في الجاهلية، في مجلس الرسول (ص)، فأغضى الرجل ونكس رأسه.[32]

الثاني: ردًّا على مَن استهزأ من وفد تميم بفقراء أصحاب النبيّ (ص)؛ لِما كان بهم من قلّة ذات اليد.[33]

الثالث: وفي تكملة الآية ﴿ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ ﴾[34] ذُكِر أنّ نساء النبيّ (ص) عَيَّرنَ أُم سَلَمة بالقُصْر، فنزلت هذه الآية.[35] أو لشكوى صفيَّة بنة حُيَيّ بن أخطب، من أنّ النِّساء يُعَيِّرنها باليهودية.[36]

8. ﴿ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ ﴾[37]، ذكر المَعنيّون بأسباب النزول ثلاثة أقوال: جميعها تُفيد النّهي عن دعوة أو مخاطبة الرجل بما يكره من الأقوال سواء كان بذكر دينه، كـ يهوديّ أو نصرانيّ أو تعييرِه بأمّه أو غيرها. [38]

9. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ﴾[39]، وذكروا أقوالًا في سبب نزولها، منها: إنّها نزلت في ثابت بن قيس، –المتقدّم ذكره– وقيل: نزلت عندما عيَّر قومٌ بلالًا (τ) عندما أذّن يوم فتحٍ بمكّة فوق ظهر الكعبة، وقال آخرون: نزلت في عبد زاره رسول الله (ص)، ثم مات فتولّى رسول الله (ص) غسله وتكفينه ودفنه.[40]

وأيًّا كان السبب فالخطاب بـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ انتقالٌ بالأمّة من صفة الإيمان التي خصّهم بها – جلّ وعلا– وعَودة إلى الجاهلية، يحذِّر منها النّاس كل النّاس، مؤمنهم وكافرهم، وفق منهج التّأديب والتّعليم التي جاءت به هذه السورة.

10. ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا ﴾[41]، قال جمهور المفسّرين: إنّ الآية نزلت في أعراب من بني أسد، الذين امتنُّوا بإسلامهم حين قدموا المدينة، مدلّين بعدم مقاتلتهم الرسول (ص)،[42] وقيل: نزلت في بعض أعراب المدينة من مُزَينة وجُهينة وأسلم وأشجع وغفار، لادّعائهم الإيمان، فلمّا استنفرهم النبي (ص) في الحديبية تخلَّفوا،[43] ورجّح بعض أهل التفسير القول الأول، وعدُّوه هو الصحيح.[44]

ثانيا–المناسبة بين سورة الفتح وسورة الحجرات:

جاءت سورة الفتح بما أيّد به رسوله (ص) من فتح مكة مُشيدة بما شرّف الله –جلّ وعلا– رسوله (ص) من التعظيم وجلال القدر، فقال تعالى:﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾[45]، وختمت السورة بذكر فضل محمد (ص)، وكرامة أصحابه (ﻭ)، قال تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ ﴾[46].

وجاءت سورة الحجرات مؤكّدة لِما ذُكِر في سورة الفتح من وجوب اتّباعه (ص) وطاعته والإذعان له، ووضع تعاليمه موضع التطبيق العملي، وهناك إشارة إلى رضا النبيّ (ص) عن معاذ (τ)، إذ قال له النبيّ (ص) حين بُعِث إلى اليمن «كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟»، قال: أقضي بكتاب الله، قال: «فإن لم تجد في كتاب الله؟»، قال: فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «فإن لم تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا في كتاب الله؟» قال: أجتهد رأيي، ولا آلو...»[47].

المطلب الأول: الأدب مع الله –جلّ وعلا– ورسوله ρ

الأصل في الإسلام أنّ الحكم لله تعالى وحده، ولا دَخلَ لأحد من خلقه فيه، ولا سبق لأحد منهم به، فإذا جاء أمر الله –تعالى– فليس على المسلم إلّا الطّاعة والالتزام، وعلى المؤمنين، كل مؤمن فيهم معرفة حدّه والوقوف عنده.[48]

وقد وردت آيات كثيرة في وجوب التحاكم إلى شرع الله –تعالى–، ونهت عن اتّباع ما سواه، وفي بعضها حكم على مَن خالف ذلك، كـ نفي الإيمان، أو الكفر، والشرك، من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ ﴾[49]، وقال تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[50]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴾[51]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا ﴾[52]، وقوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ ﴾[53]، وقوله –جلّ وعلا–: ﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ ﴾[54]، ومنها: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴾[55] وغيرها.[56]

ومن الآيات التي أجمع المفسّرون بسببها على أنّه ((مَن ردَّ شيئًا من أوامر الله –تعالى– أو أوامر رسوله (ص) فهو خارج من الإسلام))[57]، قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ﴾[58].

وسواءٌ كان سببه نزول الآية خصومة بين الزبير بن العوام ورجلٌ من الأنصار، أم كان بين منافق ويهودي، فهي عامّة في كل مَن أبى أن يتحاكم إلى الكتاب والسُّنَّة، وأنّ الإيمان لا يتم إلّا بتحكيم الرسول (ص) والتسليم له.[59]

وفرضية التحكيم هذه التي ثبتت للرسول (ص) وهو حيّ، لم تسقط بموته، فقد افتتح –جلّ وعلا– هذا الخبر بالقسم المؤكد بالنفي قبله، وأقسم على انتفاء الإيمان عنهم حتى يُحكِّموا رسول الله (ص) في جميع ما تنازعوا فيه، من دقيق الدين وجليله، وفروعه وأصوله، ولم تكتفِ الآية بهذا التحكيم حتى ينتفي الحرج وهو الضيق مما حكم به، فتنشرح صدورهم لقبول حكمه انشراحا لا يبقى معه حرجٌ، ويسلموا تسليمًا.[60] فإن لم يفعلوا ذلك، خرجوا من دائرة الإيمان، وربّما تحوّلوا من حيث يدرون أو لا يدرون إلى عِداد الكافرين أو المنافقين.[61]

ونحن الآن نطبق القوانين الوضعية المستوردة منها والكاسدة، في بلاد المسلمين، وربّما تحوّلت إلى دينٌ جديدٌ، له أسسه وقواعده التي يتحاكم إليها المسلمون، ويحكمون بها في أكثر بلاد المسلمين، سواءٌ منها ما وافق بعض أحكامه شيئًا من أحكام الإسلام وما خالفها، وكلّه باطل، وخروج عن الإسلام، وتحاكم إلى الطّاغوت، لأنّ ما وافق الشريعة الإسلامية، إنّما وافقها قدرًا أو مصادفةً، لا اتِّباعًا لها، ولا طاعةً لأمر الله وأمر رسوله (ص)، فالموافق والمخالف كلاهما مرتكس في حمأة الضلالة، يقود صاحبه إلى النّار، فلا يجوز لمسلمٍ الخضوع له أو الرِّضى به.[62] ولمزيد من الفائدة أقول: ذكر العلماء حالات يكون صاحبها داخلًا في الكفر الأكبر، منها:

1. جحود الحاكم أحقِّية حكم الله ورسوله،[63] وهذا لا ريب في كفره لتفضيله أحكام المخلوقين التي هي محض زبالة الأذهان، وصرف حثالة الأفكار على حكم الحكيم الحميد.[64]
2. أن يعتقد الحاكم أنّ حكم غير الرسول (ص) أحسن من حكمه وأتمّ وأشمل، لِما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند التّنازع بحجّة تطور الزمان وتغيّر الأحكام، وهذا لا رَيب في كفره، وحكمه حكم سابقه.[65]
3. فإن سوّى الحاكم بين أحكام المخلوقين، وحكم الله ورسوله، فهو كسابقَيه.[66]
4. فإن اعتقد الحاكم جواز الحكم بما يخالف حكم الله –جلّ وعلا–، فهو كسابقَيه.[67]
5. مَن اعتقد أنّ نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في العصر الحاضر، وأنّ الإسلام سبب لتخلّف المسلمين، وأنّ الإسلام ينحصر في علاقة المسلم بربه، دون أن يكون له علاقة ببقية شؤون الحياة الأخرى، فهو كمَن يرى أنّ أحكام الله –جلّ وعلا– في الحدود غير مناسبة للعصر، وهو كمَن استحلَّ الحكم بغير أمر الله –تعالى– ودينه وشريعته، وهو كمَن أجاز الحكم بغير ما أنزل الله –تعالى– في المعاملات، بيعًا وشراءً وصيرفةً ومعاملات رَبَويّة، مِمّا يجري في المصارف أو البنوك. وهو كمَن

جعل لنفسه حق التّشريع والتّحليل والتّحريم من دون الله –تعالى– سواء كان فردًا، أم جماعة، أم هيئة برلمانية، أو مجلس أمّة، أو غيرها. وكل هؤلاء لا يغادرون دائرة الكفر إلّا إلى كفرٍ مثلها.[68]

6. ومثل ذلك ما يسمّى الآن قانون العشائر، أو عوائد القبائل، عندما تكون مخالفة للشريعة الإسلامية.[69]

7. ويدخل في هذا الحكم كل مَن يُطيع مَن بدَّل شرع الله –تعالى–.

المطلب الثاني: سورة الحجرات منهج الدعاة

تضم سورة الحجرات كثيرًا من الأوامر والنّواهي، وكثير منها يبدأ بـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾، وقد تكرّر ذلك مرّات عدّة حيث بلغت خمسًا.

وهذا النمط من النِّداء محبَّبٌ إلى النّفوس، فهو نداءٌ من الخالق للمخلوقين، من فاطر السموات والأرض، يخاطب عباده بأحبّ الأسماء إليهم، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾. إنّه –جلّ وعلا– يعاقبهم، ويأمرهم وينهاهم، ومع ذلك يناديهم نداءً يفتح القلوب المغلقة، والنّفوس المُعرضة، حتى لا تملك إلّا أن تستجيب طائعةً مختارةً.[70]

إنّهم يسمعون هذا النِّداء وهم بين يديه، يتقدّمون، وبين يديّ رسول الله (ص) يعترضون، وكفى بهذا معصيةً!! فكان النِّداء الأول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ ﴾[71]، لتقرير جهة القيادة ومصدر التلقِّي، فلا بدّ من وضوح المصدر الذي يتلقّى عنه المؤمنون، ولا بد من تقرير مكان القيادة، وتوقيرها ليصبح للتّوجيهات بعد ذلك قيمتها ووزنها، وطاعتها.

وحين ترتفع الأصوات عند رسول الله (ص)، فيؤذِّيه ذلك يُناديهم ربّهم –جلّ وعلا– ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾[72]، هذا النِّداء: لتقرير ما ينبغي من أدبٍ للقيادة، وتوقيرٍ لها.[73]

ذلك، هو الأدب مع الله ورسوله (ص)، وهو منهج التلقِّي والتّنفيذ، وهذا أصل من أصول التّشريع والعمل في الوقت ذاته، هذا الأدب وذلك التّوقير ينعكس فجأةً على نبراتِ أصواتهم، وكان لقلوبهم وجيف، وارتجاف، خشيةً أن تحبط أعمالهم، وهم لا يشعرون.

لقد أعلنت السورة ما كانت عليه هذه الجماعة المؤمنة من التّقوى، وكان غضّ الأصوات، استجابةً سريعةً فعليةً، فكان الامتحان، امتحان قلوبٌ ونفوسٌ وأجسادٌ، مَداره وميدانه: التّقوى، فكان الفلاح حليفها، والتّخليص والتّمحيص هدفها.[74]

وعندما تأخذ العجلة بعض النّفوس المتحمّسة لهذا الدّين ويقترحون على رسول الله (ص) أمورًا قد تكون عواقبها وخيمة ونتائجها مخيفة، يعاتبهم –جلّ وعلا– ويوجّههم، بـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾[75].

وفيه بيّن للجماعة كيف يتلقّون من الأنباء، وكيف يتصرّفون بها، لذلك قرَّر هذا النِّداء: التثبُّت من مصدرها، مع أنّ الأصل في منهج الجماعة المؤمنة أن يكون أفرادها موضع ثقتها، وأقوالهم وأخبارهم

في موضع التّصديق، فإن كان مصدر الخبر مظنّة الشكِّ فيه لجهالةٍ، أو صغر سنٍّ، وقلّة تجربةٍ، أو خوفٍ أو فسقٍ، فعلى الجماعة أن لا تعجل في تصرُّفٍ بنّاءٍ على مثل هذا الخبر، فتصيب قومًا بظلمٍ عن جهالةٍ وتسرُّعٍ، فتندم على ارتكابها ما يُغضبُ الله –جلّ وعلا– ويجانب الحقّ والعدل.

لقد وضع هذا النِّداء خبرًا يحوطه الشك، موضع التّمحيص والتّريُث والتّثبُّت، أمّا الصالح، الثِّقة، فيؤخذ بخبره؛ إذ الأصل في الجماعة المؤمنة أنّ أفرادها جميعًا ثقات!! والشكّ في توثيقهم استثناء، وعليه فأنّ الإسلام يَدَعِ الحياة تسير في مجراها الطبيعي السّليم، أمّا الضّمانات والحواجز، والاستثناءات فقد جاءت لصيانتها لا لتعطيلها.[76]

ثم ينتقل السياق إلى قاعدة تشريعية عملية لصيانة المجتمع المؤمن من الخصام والتفكُّك تحت النَّزوات والاندِّفاعات، فيكلِّف الذين آمنوا، بالإصلاح بين مَن تخاصم من المؤمنين و وأد الفتنة وإصلاح ذات البَين، بل والقضاء على مصدر الخصومة وسببها، وكانت صفة البغي، وجمعها بُغاة، مناسبة للمتخاصمين الذين لم يُحكِّموا شرع الله –تعالى– فيما اختلفوا فيه أو اختصموا، وكان الأمر بقتالهم مناسب لعنادهم وتعنُّتهم، ورفضهم إلى الاحتكام إلى شرع الله –تعالى– القائم على العدل التّام، طاعةً لله –تعالى– وطلبًا لرضاه الذي جعل أساسه ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[78].[77]

وليعلم المتقاتلون أنّ الهدف من قتالهم ليس القضاء عليهم، وإنّما ردّهم إلى الصف وإعادة معنى الأخوّة إلى أنفسهم، وهذا هو الأصل، أمّا القتال، فهو استثناء.

ويؤدِّبهم –جلّ وعلا– بالنِّداء نفسه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ... ﴾، وهم يسخرون ويلمزون ويتنابزون بالألقاب، ثم بيّن لهم –جلّ وعلا– مثالب الظنّ السيء، ومساوئ التجسُّس والغيبة، مصدّرة بنغمة النِّداء ذاته، وقد بيّن لهم أنّ الظنّ السيء يمكن أن يغشى بعض القلوب الضّعيفة، وكثيرًا ما يقع التجسُّس من بعض العيون والآذان المريضة، تمامًا كما تنطق بالغيبة ألسنةٌ ساهيةٌ، كل ذلك قد جاء بعد هذا النِّداء الرَّقيق الرّفيق الحاني الدّافئ ليرسم منهجًا للدّعاة، ويضع أُسسًا لِمَن يتصدّى للأمر بالمعروف والنهيّ عن المنكر.[79]

إنّنا لن نسع الناس بأموالنا، ولكننا قد ننقذ الناس بأخلاقنا، فأين الدُّعاةُ من هذا الأسلوب الذي خطَّه للأمَّة بارؤها؟! الغنيُّ عنّا وعن غيرنا، وهو يناديا بأحبِّ الأوصاف والألقاب إلينا ليقوِّم اعوجاجنا، ويُقيلنا من عثراتنا ويهذِّب سلوكنا فيرضى عنّا، ويغفر لنا ويرحمنا؟!

وفي مراجعة لِمَن تصدّر للدّعوة من إخواننا، ونحن نحسبهم على خير إن شاء الله –تعالى– نراهم يخاطبون الناس بغلظةٍ وجفاءٍ، وينادونهم بما تشمئزّ منه نفوسهم وتأباه آذانهم:

والذي نفسُهُ بغيرِ جمالٍ *** لا يرى في الوجوه شيئًا جميلًا

أنتَ فينا النَّصوح فارفق جزاك *** الله خيرًا فالرِّفق أهدى سبيلًا.[80]

أين هؤلاء الدُّعاة من المنهج الربَّانيّ الذي قدَّمه للمؤمنين في سورة الحجرات، خاصّة، والقرآن الكريم على العموم.

أولا– فقد أرسل –جلّ وعلا– موسى وهارون إلى أفجر الناس وأطغاهم في زمانه، فرعون الذي ادَّعى الألوهية، وأجبر الناس على عبادته، ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾[81]، فهل أمر –جلّ وعلا– موسى وهارون باغتياله؟! أو إطلاق النّار عليه وإردائه قتيلًا؟ أو أمرهما بتعنيفه وتغليظ القول له تهديدًا و وعيدًا؟!

لا هذا، ولا ذاك، إنّما قال لهما –جلّ وعلا–:﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾[82]، ثم ماذا؟ ﴿ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾[83]. إنّه أسلوبٌ يأخذُ بالألباب، ولذلك لم يجد فرعون بُدًّا من مقابلة الحِوار الربّاني بالمجادلة بالتي هي أحسن، ولو في الظّاهر، ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾[84].

ولقد جاء رجلٌ واعظٌ، ودخل على عبد الملك بن مروان، الخليفة الأمويّ، وقيل: على المأمون الخليفة العباسيّ، فقال له الواعظ: يا أمير المؤمنين أنّي واعظك لكنّي مشدّدٌ عليك!! فقال له الخليفة: والله لا أسمع لك، فقد أرسل الله مَن هو خيرٌ منك إلى مَن هو شرٌّ مني، فقال لهما:﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾.

ثانيا– وخاطب النبيُّ صالح (υ) قومه قائلًا:﴿ وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾[85].

ثالثا– وأثنى –جلّ وعلا– على رسول الله، فقال:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾[86]، وقال مشيرًا إلى رحمته بالأمّة:﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ ﴾[87]. وقال تعالى:﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾[88].

رابعا– ويأمرنا –جلّ وعلا– أن نردّ على مَن أساء إلينا بالتي هي أحسن قائلًا:﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ ﴾[89]، وضمَّن –جلّ وعلا– لنا النتيجة على الفور، ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ

حَمِيمٌ ﴾[90]، فإذا كان هذا الأسلوب الربّاني هو المفروض علينا في مواجهة مَن أساء إلينا، فكيف يكون الأسلوب في مخاطبة مَن نُريد أن نُحسِنَ إليهم وندعوهم إلى دين الله العزيز العليم، وننقذهم مِمّا هم فيه من الضلال والزَّيغ والانحراف؟!

خامسا- وقال (ص):" إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين ".[91]

سادسا- وقال –عليه الصّلاة والسّلام-: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا »[92].

سابعا- وقال (ص):« ما وجد الرِّفق في شيءٍ إلّا زانَهُ، وما نُزِعَ من شيءٍ إلّا شَانَهُ »[93].

والأحاديث النَّبويّة في هذا الموضوع كثيرةً جدًّا، وعلى الدُّعاةِ أن يستحضِروا المنهج الربّاني في دعوتهم ومخاطبتهم للنّاس، إذا عدّوا أنفسهم فعلًا مُبلِّغين عن الله، وهدفهم هدايتهم، أمّا إذا اتّبعوا الطريق المضاد، فلن يحصدوا إلّا التّنفير، والإساءة إلى الله –جلّ وعلا-. ونحن لا ننتظر مِمَّن أساء إلى ربّه أن يُحسِن إلينا، والنّاس لا يقبلون الإساءة من الدّاعية ولو أساءوا إليه، ومنهج سورة الحجرات لا يدَع مجالًا لِمتأوّلٍ أو مكابرٍ. لقد سُئلت أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها- عن خُلُق رسول الله (ص)، فأجابت: « كان خلقه القرآن»[94].

وأخيرًا وليست آخرًا فهذا إبراهيم (υ) يخاطب أباه قائلًا:﴿ يَـٰٓأَبَتِ ﴾[95] وكرَّرها مرّات عديدة، وفي قوله، منتهى الأدب، الذي يُلين الصَّخر ويَفلق الحجر.[96]

أمّا لقمان فكان خطابه لابنه بأسلوب ﴿ يَـٰبُنَىَّ ﴾[97] وقد كرَّرها برفقٍ وحنانٍ ومحبَّةٍ، ونحن نقول: بمثل هذا الأسلوب يجب أن نبلّغ دعوتنا، وشعار كلُّ داعية منّا ﴿ وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾[98].

المطلب الثالث: أدب التعامل مع العلماء

التزم الصحابة (ψ) بالأدب مع رسول الله (ص) حتى بعد وفاته، وسار مَن جاء بعدهم على هَديِهم حتى كرهوا رفع الصوت عند قبره (ص)، وقد تقدَّمت الإشارة إلى موقف عمر بن الخطّاب (τ) مع الرَّجلَين من أهل الطّائف، وقد وعى السَّلف هذا الأدب فتجاوزوا به شخص الرسول (ص) إلى كل شيخ وعالم من العلماء، احترامًا لهم، حيث أنّهم يحملون ميراث النّبي (ص) وسُنّته، فـ " العلماء ورثة الأنبياء، وإنّ الأنبياء لم يُوَرِّثوا دينارًا ولا درهَمًا وإنّما ورَّثوا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظٍّ وافرٍ[99]"، ورُوي عن ابن عباس –رضي الله عنهما- أنّه كان يذهب إلى الصَّحابي، ليروي عنه الحديث، فيجلس عند بابه حتى يخرج، تأدُّبًا مع مَن يحمل حديث رسول الله (ص)، عملًا بقوله تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟

حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ ﴾[100]،[101]، وقال أبو عبيد: "ما دَقَقْتُ بابًا على عالِمٍ قط حتى يخرج في وقت خروجه"[102]، وورد عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قوله: « مَن آذى فقيهًا فقد آذى رسول الله (ص)، ومَن آذى رسول الله (ص) فقد آذى الله [103]« Y، وروى الخطيب البغدادي عن أبي حنيفة والشّافعي –رحمهما الله تعالى– أنّهما قالا: " إنْ لم يكنِ الفقهاء أولياءَ اللّه في الآخرة , فما للّه وَلِيٌّ "[104]، وفي الحديث القدسيّ: " مَن عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب ".[105]

مِمّا تقدّم نعلم أنّ الأدب مع العلماء أدبٌ مع الله –تعالى–، وأدبٌ مع رسوله (ص)، وندرِك أنّ ما جاء في سورة الحجرات من آداب ليست لمجرّد التِّلاوة، بل هي ترسم منهجًا للمسلم في أدبه مع الله، والله حيٌّ لا يموت، والتّأدُّب مع الله –تعالى– يستلزم التّأدُّب مع شرعه، والتّأدُّب مع كتابه والتأدُّب مع سُنَّة رسول الله (ص)﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾[106]، وكذلك التّأدُّب مع العلماء والدُّعاة إلى الله – تعالى–، وهم أولياؤه الذين يحملون كتابه وسُنَّة نبيّه (ص)، ومَن أساء الأدب معهم فقد أساء الأدب مع الله ومع رسوله –عليه الصَّلاة والسَّلام–، لأنّ ذلك لن يقف عند أشخاصهم بل سيتعدّى إلى ما يحملونه من علم الكتاب والسُّنّة.[107]

مكانة العلماء وفضلهم:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ ﴾[108]، وأشاد –تعالى– بمنزلتهم فأكَّد خشيتهم له، قائلًا: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ ﴾[109]، ولذلك جعل طاعتهم في المرتبة الثّالثة بعد طاعته – جلَّ وعلا– وطاعة الرسول (ص)، فقال: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾[110]، وبشَّرهم – جلَّ وعلا– قائلًا:﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ ﴾[111].

وفي الحديث النبوي الشريف، قال (ص):« مَن يُرِدْ الله به خيرًا يُفقِّهه في الدين »[112]، وعن أبي الدَّرداء (τ) أنّ النبي (ص) قال: " العلماء ورثة الأنبياء...[113]."

ومِمَّا أُثِر عن الحسن البصري –رحمه الله–: « مَوتُ العالِمِ ثُلمةٌ في الإسلامِ لا يَسُدُّها شيءٌ ما اختلَفَ اللَّيلُ والنَّهارُ»[114]، وعدَّ الإمام الأوزاعي: " الناس عندنا أهل العلم، وما سواهم فلا شيء "[115]، وقال سفيان الثوري: لَوْ أَنَّ فَقِيهًا عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ لَكَانَ هُوَ الْجَمَاعَةَ.[116]، وقال الشّاعر:

ما الفضلُ إلّا لأهلِ العلمِ إنَّهُمُ ... على الهدى لِمَنِ اِستهدى أدِلّاءُ

ووزن كل امرئ ما كان يحسنه ... والجاهلونَ لأهلِ العلمِ أعداءُ.[117]

ومقابل هذه المكانة وتلك الدّرجة العالية التي يتمتَّع بها علماء الأُمَّة وجب أنْ يوفِّيهم الناس حقَّهم من التَّقدير والتَّعظيم والاحترام، أمّا النَّيل منهم وإيذاؤهم، فلا يعدو الخوض في جهنّم على حدِّ تعبير بعض العلماء: " أعراض العلماء على حفرةٍ من حفر جهنم ".[118] وإلّا فليستعد لحربٍ طرفها الرئيس –جلَّ وعلا– الذي جاء في الحديث القدسي قوله: " مَن عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب ".[119]

وكثيرًا ما يُشاع عن العلماء أقوالٍ لأغراضٍ لا تخفى، فيجب التأكُّد مِمّا يُنقل منهم، فقد يكون غير صحيح، ولا أساس له، ولنأخذ درسًا من سورة الحجرات، في التّبيُّن والتّثبُّت، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾[120]، ولهذا امتنع العلماء عن قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه، وقد أخذ النبي الكريم (ص) بهذا التّوجيه في شأن الوليد بن عقبة، كما مرّ، فأرسل إليهم خالد بن الوليد (τ) ليكشف الأمر ويعرف الحقيقة، ولو أخذ (ص) بقول الوليد دون التبيُّن والتّثبُّت، لوقع حاشاه في المحظور.

إنّ الأواصر تنقطع بسبب الكذب، وكم فرَّق الكذب بين أخٍ واخته، وكم أشقى بيوتًا هانئة، وأقضى مضاجع هادئة، وأفسد صِلات وثيقة !! لهذا يجب الضَّرب بيدٍ من حديدٍ على الكاذبين والمضلّلين على مدى الزّمن. ولهذا عدَّ كثير من العلماء هذه الآية مرسلة إلى يوم القيامة ما نسخها شيء.[121]

لقد وضعت هذه الآية﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾[122]، الإيمان الذي حبَّبه الله إلى عباده في مقابلة الكفر، والفسوق والعصيان، الإيمان القائم على " تصديقٌ بالجِنان وإقرارٌ باللِّسان، وعملٌ بالأركان " ثلاثة مقابل ثلاثة، وكان هذا كلّه من رحمته –جلَّ وعلا– بهذه الأمَّة التي صنعها على عينه. ومن هنا نخلص إلى القول:

أولا– يجب أنْ نحفظ للعلماء مكانتهم، وفاعليتهم في قيادة الأُمَّة وأنْ نتأدَّب معهم.

أمّا تجريحهم، ففيه ردٌّ لِما يقوله من الحقّ، ولذلك استغل المشركون من قريش هذا الأمر، فلم يطعنوا في الإسلام أولًا، بل طعنوا في شخص الرسول (ص)، لكنهم يعلمون يقينًا، أنّهم إنْ استطاعوا أنْ يشوّهوا صورة الرسول (ص) في أذهان الناس، فلن يقبلوا ما يقوله من الحقّ، فقالوا: ساحر، كاهن، مجنون... ولكنهم فشلوا في ذلك، لأنّ المعروف من صفاته قبل بعثته أنْ وصف: بالصَّادق الأمين، الحكَم، الثِّقة، فما الذي تغيَّر بعد بعثته ؟! إنّه أسلوب المنافقين، والكفّار في محاربة منهج هذا الرسول –عليه الصّلاة والسّلام–. وجُرحُ العالم جُرحٌ للنبي (ص)، وفيه إيذاءٌ له، ومَن جَرَّح عالِمًا فإنّما يجرح ما معه من العلم، وهذا يعني في منهج أعداء المسلمين إبعاد للطلاب عن علماء الأُمَّة، ومن ثم

يجعلهم يسيرون في طريق لا مُرشدَ فيه، وعرضتهم للأخطار والأخطاء ووقوعهم في الشَّطط والزَّلل هو الذي يسعى وراءه أعداء الإسلام والمسلمين، وتجريح العلماء يؤدي إلى تقليل عددهم وإذهابٌ لهيبتهم، وإضعافٌ لقيمتهم، وهذا ما يسُرُّ أعداء الله ويُفرِّحُهم، لأنّ العلماء أصبحوا في نظرهم من سَقط المَتاع.

ثانيا- ويجب أنْ نعلم أنّه لا معصوم إلّا مَن عَصَم الله، وهم الأنبياء، والملائكة.

وعلينا أنْ نفهم أنّ العالِمَ مُعَرَّضٌ للخطأ، فنعذره حين يجتهد فيُخطئ، ونكفّ ألسنتنا وأقلامنا عن تتبُّع أخطاء العلماء، أو الدُّعاة، وإحصائها عليهم، وقد اتّفق علماء الأُمَّة أنّه لا يعرى من الغلط أو الخطأ والتَّصحيف أحد. وعلينا أنْ نُدرك أنّ الخلاف موجود منذ عهد الصَّحابة (ψ) وإلى أنْ تقوم السّاعة.[123]

لنفوّت الفرصة على الأعداء، وننتبه إلى مقاصدهم وأغراضهم، فنحمل أقوال علمائنا وآرائهم على المَحمَل الحَسن، والأَولى أنْ ننتبه إلى أخطائنا وعيوبنا نحن وننشغل بها عن عيوب الناس عامّة، وعن أخطاء العلماء خاصّة. -والله أعلم-.

الخاتمة

تم بحمد الله إكمال هذا البحث الذي بعنوان (أثر سورة الحجرات في حماية نسيج المجتمع الإسلامي) وقد اتّضح من الآيات القرآنية الكريمة التي سبق سَردها، أنّ سورة الحجرات، سورة الآداب، التي تخاطب المؤمنين بأسلوب النِّداء، هي مدنية، فيها أحكام، وأوامر ونواهي وتوجيهات هادفة لإعداد أمَّةٍ، وتربيتها وتهذيبها وتشذيبها، آياتها ثمانِ عشرةَ آية، تكرَّر فيها النِّداء بـ (يا أيُّها الذين آمنوا)، وفي كلِّ نداءٍ عالج مشكلة، وقدَّم دواءً لداءٍ له جذور في الزمن ممتدَّة، في ثمارها، خَلَلٌ لا يَليق بهذا المجتمع الربّاني، وفي تصورها قصورٌ في اللغة، والأسلوب والتَّصوُّر، والفهم.

ذكرت السورة آدابًا، يمكن عدَّها قوانين كونيّة وأسس طبيعية، لا غِنًى لأي مجتمعٍ نظيفٍ، طاهرٍ، نقيّ السرائر والظواهر عنها...

فبدأت بمعالجة أدب المؤمن مع الله -جلَّ وعلا-، وأدبه مع الرسول (ص) وكان التّركيز على مسألة التّلقّي، والإلزام، والالتزام، وأوضحت مصدر التَّشريع، وكيف يتعامل معه المؤمنون، فكان العقاب مقترنًا بالنّهي، والأمر بعد ذلك مرتبط بالتَّقوى، ومحاطٌ بسياج كثيف شاهق البُنيان محاطٌ

بأبراج يعلوها التَّرهيب والتَّرغيب، والتَّهديد والتَّحذير، وتتخلَّل فجواته ومسالكه أضواءٌ تحمل التَّحبيب والتَّرغيب بأساليبٍ متعدِّدة، بالاختبارات، والامتحانات، بالمِحَن والمِنَح وجميعها في ظلال العفو والمغفرة، ومتوَّجةً بالرِّضا، والأجر العظيم الذي يقدِّمه –جلَّ وعلا– مع كل دائرة من دوائر النُّصح والإرشاد، والأدبِ والطَّاعة، والتَّطبيق الذي هيَّأه –جلَّ وعلا– لهذه الجماعة المختارة التي تمحَّص الله قلوبها، وخلَّص نفوسها من حظوظ الدُّنيا، جميع حظوظها، حتى أصبح أفرادُها فعلًا كالنُّجوم، بأيِّهِمُ اقتدى مَن جاء بعدهم، اهتدى...

محاورُ هذه السورة لا تزال مفتوحة، وميادينها ثرَّة، وما اقتصرت دراستي عليه، فكانت إشارات في الأدب مع الله تعالى ورسوله (ص) الذي لا ينطق عن الهوى، وقد منع –جلَّ وعلا– المسلمين من أنْ يُقدِّموا شيئًا بين يدي الله –تعالى– ورسوله (ص)، وألغى دورهم في التَّشريع، أو الاقتراح، أو الاستعجال، وعلَّمهم أنّ الأمر التّشريعي هو أمرٌ لله وحده، أمّا الأُمَّة فدورها محدود بالتّلقِّي، والطَّاعةِ والعمل في دائرة هذه الآداب بدقّة واحترام يتجاوز عصر النبي (ص)، دون مخالفة العلماء والدُّعاة وأولي الأمر منهم. وهذا العمل الدائم الدائب يشمل الآداب والأحكام، والفرائض والسُّنن وغيرها، والعبادات منها خاصّة، حتى يرث الله –تعالى– الأرض ومَن عليها وهو خير الوارثين.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم.

1. أحكام القرآن، لأحمد بن علي أبي بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت 370هـ)، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، 1405هـ.
2. آداب النصيحة، للشيخ عائض القرني.
3. أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت 468هـ): تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمّام، ط2، 1412هـ/1992م.
4. أسرار البلاغة، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني (ت 471هـ)، علق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، (د.ط)، (د.ت).

5. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت 1393هـ)، دار الفكر، بيروت- لبنان، (د. ط)، 1415هـ/1995مـ.

6. الاعتصام، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت 790هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ط1، 1412هـ/1992م.

7. إعلام الموقِّعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1411هـ/1991م.

8. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر- بيروت، (د. ط)، 1420هـ.

9. تخريج أحاديث الكشاف والآثار الواقعة في تفسير الكشاف لجمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي (ت 762هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة- الرياض، ط1، 1414هـ.

10. الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك، لأبي حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد البغدادي المعروف بـ ابن شاهين (ت 385هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1424هـ/2004م.

11. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت 774هـ): تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2، 1420هـ/1999م.

12. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2، 1420هـ/ 1999م.

13. التفسير الموضوعي، مناهج جامعة المدينة العالمية: جامعة المدينة العالمية.

14. جامع البيان في تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري (ت 310هـ): تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/2000م.

15. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ص) وسننه وأيامه، لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري (ت 256هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

16. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح شمس الدين القرطبي (ت 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط2، 1384هـ/1964م.

17. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، دار الفكر- بيروت، (د. ط)، (د. ت).

18. الدرر السَّنيّة في الأجوبة النّجدية، لعلماء نجد الأعلام: تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط6، 1417هـ/1996م.

19. دلائل النبوّة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبي بكر البيهقي (ت 458هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1405هـ.

20. رسالة تحكيم القوانين، للشيخ مفتي الديار السعودية محمد بن إبراهيم (ت 1389هـ).

21. زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1422هـ.

22. سنن ابن ماجه، لابن ماجة أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت 273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي، (د. ط)، (د. ت).

23. سورة الحجرات دراسة تحليلية وموضوعية، للدكتور ناصر بن سليمان العمر.

24. شرح السُّنّة، لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي الشافعي (ت 516هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي- دمشق، بيروت، ط2، 1403هـ/1983م.

25. صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم، للقاضي حسين بن محمد المهدي - عضو المحكمة العليا للجمهورية اليمنية، سُجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة، دار الكتاب، (د. ط)، 2009م.

26. عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير (مختصر تفسير القرآن العظيم)، للشيخ أحمد شاكر: دار الوفاء، ط2، 1426هـ/2005م.

27. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة- بيروت، 1379هـ، رقم كتبه وأبوابه: محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح: محب الدين الخطيب.

28. فتح القدير الجامع بين فنيّ الرِّواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت 1250): دار المؤيد، ط1، 1430هـ/2009م.

29. الفصل في المِلل والأهواءِ والنِّحل، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت 456هـ)، مكتبة الخانجي- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).

30. في ظلال القرآن، لسيد قطب: (د. ن)، ط6، (د. ت).

31. قرآن كريم تفسير وبيان، لمحمد حسن الحمصي: دار الرشيد، دمشق، (د. ط)، (د. ت).

32. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت، ط3، 1407هـ.

33. لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر أبي الحسن، الخازن (ت 741هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1415هـ.

34. لباب النقول في أسباب النزول، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، ضبط وتصحيح: الاستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د. ط)، (د.ت).

35. مجمع الزوائد وَمَنْبَعُ الفَوَائِدِ، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت 807هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الدّاراني، دَارُ المَأْمُون لِلتُّرَاث، (د. ط)، (د. ت).

36. مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت 728هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد، المدينة النبوية-السعودية، 1416هـ/1995م.

37. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز -رحمه الله-، لعبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت 1420هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، (د. ن)، (د. ط)، (د. ت).

38. مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت 1421هـ)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن- دار الثريا، الطبعة: الأخيرة، 1413هـ.

39. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة- مصر، ط1، 1422هـ/2001م.

40. المدخل إلى السُنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبي بكر البيهقي (ت 458هـ)، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظم دار الخلفاء للكتاب الإسلامي– الكويت، (د.ط)، (د. ت).

41. مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ/2001م.

42. مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي (ت 255هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني، المملكة العربية السعودية، ط1، 1412هـ/2000م.

43. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ص)، لمسلم بن الحجاج النيسابوري (ت 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، (د. ط)، (د.ت).

44. معالم التنزيل في تفسير القرآن، لمحيي السُنّة ، أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي (ت 510هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط1، 1420هـ.

45. المغني، لمحمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي الدمشقي الحنبلي (ت 620هـ)، مكتبة القاهرة، (د. ط)، 1388هـ – 1968م.

46. من معاني القرآن تفسير سورة الحجرات، لعبد الرحمن البنّا: الدار القومية، (د. ط)، (د. ت).

الهوامش

[1] سورة الزخرف: الآية 18.

[2] سورة إبراهيم: من الآية 4.

[3] سورة النحل: الآية 64.

[4] سورة محمد، من الآية: 35.

[5] سورة الحجرات، من الآية: 10.

[6] سورة الحجرات، من الآية: 13.

[7] سورة الحجرات، من الآية: 13.

[8] التفسير الموضوعي، مناهج جامعة المدينة العالمية: ص 377.

[9] سورة الحجرات، من الآية: 13.

[10] سورة النجم، الآيات: 39- 41.

[11] سورة الحشر، من الآية: 19.

[12] سورة الرعد، من الآية: 11.

[13] سورة محمد، من الآية: 35.

[14] سورة الحجرات، من الآية: 1.

[15] سورة البقرة، من الآية: 186.

[16] ينظر: أسباب النزول، للواحدي: ص 385؛ جامع البيان، للطبري: 276/22؛ وزاد المسير، لابن الجوزي: 141/4- 142؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 365/7؛ ولباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي: ص 178؛ وقرآن كريم تفسير وبيان، لمحمد حسن الحمصي: ص 443- 462.

[17] سورة الحجرات، من الآية: 2.

[18] ينظر: جامع البيان: 280/22؛ وأسباب النزول: ص 402؛ وزاد المسير: 142/4؛ وتفسير القرآن العظيم: 340/7.

[19] ينظر: صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي (ρ)، ح/4845، 137/6.

[20] سورة الحجرات، من الآية: 3.

[21] ينظر: أسباب النزول: ص 403؛ والمستدرك على الصحيحين، للحاكم: كتاب التفسير، تفسير سورة الحجرات، ح/3720، 501/2؛ ومجمع الزوائد، للهيثمي: كتاب التفسير، سورة الحجرات، ح/11350، 108/7. حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرِّجاه.

[22] سورة الحجرات، من الآية: 4.

[23] ينظر: أسباب النزول: ص 404؛ وزاد المسير: 144/4؛ والدر المنثور، للسيوطي: 553/7؛ وتخريج أحاديث الكشاف، للزيلعي: 331/3.

[24] ينظر: جامع البيان: 284/22؛ والدر المنثور: 552/7.

[25] سورة الحجرات، من الآية: 6.

[26] أخرجه أحمد في مسنده: مسند المدنيين، حديث الوليد بن عقبة...، ح/16379، 304/26؛ وجامع البيان: 286/22؛ وأسباب النزول: ص 407؛ وزاد المسير: 146/4؛ وتفسير القرآن العظيم: 345/7- 346؛ والدر المنثور: 555/7.

[27] سورة الحجرات، من الآية: 9.

[28] ينظر: صحيح البخاري: كتاب الصلح، باب ما جاء في الإصلاح بين الناس، ح/2691، 183/3؛ وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسّيَر، باب في دعاء النبي (ρ)...، ح/1799، 1424/3.

[29] ينظر: زاد المسير: 147/4؛ والدر المنثور: 560/7.

[30] ينظر: جامع البيان: 293/22؛ وزاد المسير: 147/4؛ وتفسير القرآن العظيم: 350/7؛ والدر المنثور: 560/7.

[31] سورة الحجرات، من الآية: 11.

[32] ينظر: أسباب النزول: ص 409؛ وزاد المسير: 148/4.

[33] ينظر: معالم التنزيل، للبغوي: 261/4؛ وزاد المسير: 465/7؛ ولباب التأويل، للخازن: 181/4؛ والدر المنثور: 563/7.

[34] سورة الحجرات، من الآية: 11.

[35] ينظر: زاد المسير: 466/7.

[36] ينظر: أسباب النزول: ص 409- 410؛ وزاد المسير: 466/7.

[37] سورة الحجرات، من الآية: 11.

[38] وكل قول من أقوالهم ذُكِر في كتب التفسير. ينظر: زاد المسير: 150/4؛ وتفسير القرآن العظيم: 352/7.

[39] سورة الحجرات، من الآية: 13.

[40] ينظر: دلائل النبوّة، للبيهقي: جماع أبواب السّرايا، باب كيف كان قدومه بمكة، 328/4؛ وأسباب النزول: ص 411- 412؛ وزاد المسير: 152/4- 153.

[41] سورة الحجرات، من الآية: 14.

[42] ينظر: جامع البيان: 313/22؛ وزاد المسير: 154/4؛ وتفسير القرآن العظيم: 364/7؛ والدر المنثور: 582/7.

[43] ينظر: معالم التنزيل: 268/4؛ وزاد المسير: 154/4.

[44] ينظر: جامع البيان: 313/22؛ معالم التنزيل: 268/4؛ وزاد المسير: 154/4؛ وتفسير القرآن العظيم: 364/7؛ والدر المنثور: 582/7.

[45] سورة الفتح، الآيتان: 8- 9.

[46] سورة الفتح، من الآيتين: 28- 29.

[47] أخرجه أحمد في مسنده: مسند الأنصار، حديث معاذ بن جبل، ح/22061، 382/36؛ وأخرجه أبو داود في سننه: كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء، ح/3592، 303/3، واللفظ له؛ وأخرجه الترمذي في سننه: أبواب الأحكام، باب ما جاء في القاضي كيف يقضي، ح/1327، 9/3. قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

[48] ينظر: من معاني القرآن، لعبد الرحمن البنّا: ص 7.

[49] سورة البقرة، من الآية: 256.

[50] سورة آل عمران، الآيتان: 31- 32.

[51] سورة النساء، الآية: 105.

[52] سورة الأنعام، من الآيتة: 114.

[53] سورة الأعراف، من الآية: 62.

[54] سورة يوسف، من الآية: 40.

[55] سورة الأنعام، من الآية: 62.

[56] ينظر: سورة آل عمران، الآية: 23؛ وسورة النساء، الآيات: 50، 59- 65؛ وسورة التوبة، الآية: 31؛ وسورة المائدة، الآيات: 44، 45، 47.

[57] أحكام القرآن، للجصاص: 181/3.

[58] سورة النساء، من الآية: 65. ينظر في سبب نزولها: صحيح البخاري: كتاب الصلح، باب إذا أشار الإمام بالصلح فأبى، ح/2708، 187/3؛ وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب وجوب اتّباعه (ρ)، ح/2357، 1829/4؛ فتح الباري، لابن حجر: 37/5.

[59] ينظر: جامع البيان: 524/8.

[60] ينظر: مختصر الصواعق المرسلة، لابن القيّم: ص 545؛ وإعلام الموقّعين، لابن القيّم: 401/2.

[61] ينظر: عمدة التفسير، لأحمد شاكر: 214/3- 215.

[62] ينظر: رسالة تحكيم القوانين، لمحمد إبراهيم: ص 1.

[63] ينظر: جامع البيان: 357/10- 358؛ والمغني، لابن قدامة: 134/10؛ ومجموع الفتاوى، لابن تيمية: 327/7؛ ومدارج السالكين، لابن القيم: 120/2.

[64] ينظر: رسالة تحكيم القوانين: ص5.

[65] ينظر: المصدر نفسه: ص 5.

[66] ينظر: المصدر السابق: ص 5.

[67] ينظر: مجموع فتاوى ابن باز، لابن باز: 416/4؛ وتحكيم القوانين: ص 5- 6.

[68] ينظر: أضواء البيان، للشنقيطي: 246/1؛ ومجموع فتاوى، لابن باز: 137/1؛ ومجموع فتاوى ورسائل العثيمين، لابن العثيمين: 159/1- 161؛ والدرر السَّنيّة، لعلماء نجد الأعلام: 241/8- 271.

[69] ينظر: الفصل في المِلل والأهواءِ والنِّحل، لابن حزم: 130/3؛ والاعتصام، للشاطبي: 692/2؛ ومجموع الفتاوى، لابن تيمية: 388/35؛ ومجموع فتاوى، لابن باز، 275/1: 416/4؛ وتحكيم القوانين: ص 5- 6.

[70] ينظر: من معاني القرآن، لعبد الرحمن البنّا: ص 7.

[71] سورة الحجرات، من الآية: 1.

[72] سورة الحجرات، من الآية: 2.

[73] ينظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: 526/26.

[74] ينظر: سورة الحجرات دراسة تحليلية وموضوعية، لناصر بن سليمان العمر: ص 67.

[75] سورة الحجرات، من الآية: 6.

[76] ينظر: سورة الحجرات دراسة تحليلية وموضوعية: ص 67- 68.

[77] سورة الحجرات، من الآية: 10.

[78] ينظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: 529/26- 530.

[79] ينظر: آداب النصيحة، للقرني: ص 8.

[80] ينظر: المصدر نفسه: ص 8.

[81] سورة النازعات، الآية: 24.

[82] سورة طه، الآيتان: 43- 44.

[83] سورة طه، الآية: 47.

[84] سورة طه، الآية: 49.

[85] سورة الأعراف، من الآية: 79.

[86] سورة القلم، الآية: 4.

[87] سورة آل عمران، من الآية: 159.

[88] سورة التوبة، الآية: 128.

[89] سورة المؤمنون، من الآية: 96.

[90] سورة فصلت، من الآية: 34.

[91] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب قول النبي (ρ): يسّروا ولا تعسِّروا، ح/6128، 30/8؛ وأخرجه أحمد في مسنده: مسند المكثرين من الصحابة (ψ)، مسند أبي هريرة (τ)، ح/7255، 198/12؛ وأخرجه أبي داود في سننه: كتاب الطهارة، باب الأرض يصيبها البول، ح/380، 103/1. واللفظ لأحمد وأبي داود.

[92]() أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسِّيَر، باب ما يكره من التنازع...، ح/3038، 65/4؛ وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجهاد والسِّيَر، باب في الأمر بالتّيسير، ح/1733، 1359/3. متّفق عليه.

[93]() أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصِّلة، باب فضل الرِّفق، ح/2594، 2004/4؛ وأخرجه أبي داود في سننه: كتاب الأدب، باب في الرفق، ح/4808، 255/4.

[94]() أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسِّيَر، باب ما يكره من التنازع...، ح/3038، 65/4؛ وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجهاد والسِّيَر، باب في الأمر بالتّيسير، ح/1733، 1359/3.

[95]() سورة مريم، من الآية: 42، 43، 44، 45.

[96]() ينظر: سورة الحجرات دراسة تحليلية موضوعية: ص 71.

[97]() سورة لقمان، من الآية: 13، 16، 17.

[98]() سورة الأعراف، من الآية: 68.

[99]() أخرجه ابن ماجة في سننه: كتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحثّ على طلب العلم، ح/223، 81/1؛ وأخرجه أبي داود في سننه: كتاب العلم، باب الحثّ على طلب العلم، ح/3641، 317/3؛ وأخرجه الترمذي في سننه: أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ح/ 2682، 47/5؛ وأخرجه الدارمي في سننه: كتاب العلم، باب في فضل العلم والعالم، ح/354، 361/1. اللفظ لهم. وهو حديث حسن.

[100]() سورة الحجرات، من الآية: 5.

[101]() ينظر: تفسير القرآن العظيم: 368/7؛ وفي ظلال القرآن: 526/26.

[102]() الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري: 359/4؛ والبحر المحيط في التفسير، لأبي حيان: 512/9؛ وفي ظلال القرآن: 526/26.

[103]() الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك، لابن شاهين: باب مختصر من كتابي كتاب الصبر وما فيه من الفضل، ح/284، ص 90؛ وسورة الحجرات دراسة تحليلية وموضوعية: ص 113، نقلًا عن رسالة لحوم العلماء مسمومة، للشيخ ناصر بن سليمان العمر.

[104]() المدخل إلى السُّنن الكبرى، للبيهقي: باب أقاويل الصحابة (ψ)، ح/177، ص 174؛ وسورة الحجرات دراسة تحليلية وموضوعية: ص 113، نقلًا عن رسالة لحوم العلماء مسمومة، للشيخ ناصر بن سليمان العمر.

[105]() رواه البخاري في صحيحه: كتاب الرِّقاق، باب التّواضع، ح/6502، 105/8؛ وشرح السُّنّة، للبغوي: كتاب الدّعوات، باب التقرّب إلى الله I، ح/1247، 19/5.

[106]() سورة النجم، الآية: 4.

[107]() ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: 307/16؛ وفي ظلال القرآن: 526/26.

[108]() سورة الزمر، من الآية: 9.

[109]() سورة فاطر، من الآية: 28.

[110]() سورة النساء، من الآية: 59.

[111]() سورة المجادلة، من الآية: 11.

[112]() رواه البخاري في صحيحه: كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، ح/71، 25/1؛ رواه مسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب النّهي عن المسألة، ح/1037، 1524/3.

[113]() سبق تخريجه ص 18.

[114]() أخرجه الدارمي في سننه: كتاب العلم، باب في فضل العلم والعالم، ح/333، 351/1. اللفظ له. قال الداراني: إسناده صحيح.

[115]() سورة الحجرات دراسة تحليلية وموضوعية: ص 115.

[116]() شرح السُّنّة: كتاب العلم، باب فضل العلم، ح/129 279/1.

[117]() أسرار البلاغة، للجرجاني: ص 265؛ وصيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم، للقاضي حسين المهدي: ص79

[118]() سورة الحجرات دراسة تحليلية وموضوعية: ص 116.

[119]() سبق تخريجه: ص 19.

[120]() سورة الحجرات، الآية: 6.

[121]() الدر المنثور، للسيوطي: 558/7؛ وينظر: فتح القدير، للشوكاني: ص 1735.

[122]() سورة الحجرات، الآيتان: 7- 8.

[123]() ينظر: سورة الحجرات دراسة تحليلية وموضوعية: ص 122- 123، نقلا عن أدب الخلاف، لصالح بن حميد.